تأملات في سورة الحجرات

(دراسة موضوعية)

■ د . عثمان الجيلاني الأمين *

يحتوي هذا البحث على مقدمة وأسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه وحدود الموضوع والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته والخاتمة .

أولاً: المقدمة:

سورة الحجرات من السور المدنية الهامة في القرآن الكريم على الرغم من أن عدد آياتها لا يتعدى الثماني عشرة آية، إلا إنها اكتسبت هذه الأهمية من موضوعاتها الحساسة، فقد عالجت هذه السورة العظيمة الأساليب التي يجب أن يتعامل بها المسلمون مع رسولهم الكريم ﷺ إذ يجب ان يكونوا مؤدبين عند الحديث معه ﷺ وألا تعلو أصواتهم فوق صوته الكريم، ومن مظاهر الأدب في التعامل معه ﷺ عدم مناداته باسمه، وأن تحرم بيوته التي هي بيوت زوجاته أمهات المؤمنين رضى الله عنهن، كما حثت المسلمين إلى امتثال أوامر رسول الله ﷺ التي تصدر عنه، وسورة الحجرات هي السورة التاسعة والأربعون من سور القرآن الكريم .

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع :- تتلخص في الآتي:.

1 - بيان أن ما سيذكر من الأحكام والمواعظ من أوصاف أهل الإيمان .

2 - توضيح مظاهر الأدب مع الله تعالى والنبي ﷺ .

3 - معالجة السورة لقضايا أساسية في المجتمع .

ثالثاً: أهمية الموضوع: وهي كالآتي :-

1 - بيان حقيقة الإيمان وقيمته.

---

*عضو هيئة التدريس بكلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية . جامعة الإمام المهدي - السودان

2 – تذكير الناس بأصلهم وأن التقوى أساس التفاضل.

3 – تحريم اللمز والنبز وسوء الظن والغيبة والتجسس.

رابعاً: أهداف الموضوع : تتلخص في الآتي :-

1 – وجوب التأكد من صحة الأخبار تفادياً لحصول ما لا يحمد عقباه .

2 – توضيح مظاهر الأدب مع المولى عز وجل ونبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

3 – معالجة القبائح والتصرفات الذميمة .

خامساً: حدود الموضوع:-

يحد هذا الموضوع بالحديث عن سورة الحجرات والتأمل في آياتها وتوضيح الآداب الإسلامية التي احتوت عليها هذه السورة الكريمة .

سادساً : الدراسات السابقة :

هناك دراسة سابقة بعنوان سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية إعداد الشيخ الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر، جامعة محمد بن سعود الإسلامية وهي دراسة شاملة ومفيدة، حيث إن الدراسة تناولت أسباب نزول الآيات مع ذكر القول الراجح والقراءات الواردة في السورة الكريمة وبعض أحكام التجويد والوقف والابتداء واللغة والإعراب ووقفات بلاغية وما ورد في السورة الكريمة من أحكام، ولا شك أن مصادر التفسير تناولت هذه، السورة الكريمة، وستتناول هذه الدراسة سورة الحجرات وأسباب النزول فيها مع ذكر القول الراجح، واستنباط المعاني من خلال شرح آيات السورة الكريمة، كما أن المعاني التي سأتناولها في هذا البحث هي مقتبسة من مصادر التفاسير، فالدراسة السابقة لهذه السورة الكريمة دراسة تحليلية وموضوعية بينما هذه الدراسة دراسة موضوعية مختصرةً على أسباب النزول وتفسير آيات السورة الكريمة حتى لا تطول صفحات البحث.

سابعاً : منهج البحث :-

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي حيث إنني أعرض الآيات الكريمة شارحاً ومبيناً لما تحدثت عنه السورة الكريمة من أدب العلاقة والتعامل مع الرسول ﷺ ومع

المسلمين والناس عامة .

ثامناً: خطة البحث:

تتكون من ستة مباحث وهي كالآتي:-

المبحث الأول:- تمهيد وهو عبارة عن تقديم للسورة الكريمة.

المبحث الثاني: الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: التثبت من الأخبار.

المبحث الرابع: الإصلاح بين المؤمنين.

المبحث الخامس: آداب في الاجتماع والمعاشرة.

المبحث السادس: حقيقة الإيمان بالله تعالى.

المبحث الأول: تمهيد ويشتمل على الآتي:-

أولاً: تسمية سورة الحجرات .

سميت سورة الحجرات لأن الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي ﷺ وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن[1].

ثانياً : سبب نزول السورة الكريمة:-

لقد ذكرت عدة روايات في سبب نزول السورة الكريمة موزعة على آياتها، والحديث عن هذه الأسباب يطول، فالأولى أن يذكر كل سبب مع آياته ليسهم ذلك في وضوح معنى الآيات وتفسيرها[2].

ثالثاً : مناسبتها لما قلبها:- وذلك من وجوه :

1 - ذكر في هذه قتال البغاة وفي تلك قتال الكفار .

2 - إن السابقة ختمت بالذين آمنوا، وافتتحت هذه بهم .

3 - إن كلاً منهما تضمن تشريفاً وتكريماً للرسول ﷺ ولا سيما في مطلعيهما[3].

رابعاً : مناسبتها لما بعدها :

لما ختم الله تعالى سورة الحجرات بإحاطة العلم، وافتتح السورة التي بعدها بحرف (ق) ففي هذه إشارة إلى أنه وحده جل وعلا المحيط علماً وقدرة وفتحاً لما أراد من المغلغات[4].

خامساً : أهدافها :-

(1) الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ وامتثال أمر الحق تعالى.

(2) الاحتراز عن السخرية والحذر من التجسس والغيبة وترك الفخر بالأحساب والأنساب .

(3) التحاشي عن المنة على الله تعالى بالطاعة وإحالة علم الغيب إلى الله تعالى[5].

سادساً : فضلها:-

فيه حديث، أُبي رضي الله عنه الضعيف جداً: (من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله وعصاه)، وحديث علي رضي الله عنه: (يا علي من قرأها كان في الجنة رفيق سليمان بن داود وله بكل آية قرأها مثل ثواب المحسنين إلى عيالهم)[6]، وقد بحثت في مصادر الحديث ومصطلحه فلم أقف على هذا الحديث.

المبحث الثاني: الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ

هذه السورة الكريمة اشتملت على الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ والأدب مع المؤمنين، ونبدأ بالآداب التي مع الله ورسوله ﷺ وذلك في مطلع الكريمة في قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾ **سورة الحجرات، الآيات** (1 – 5).

هذه آداب أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام فقال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي عند مخاطبتكم له ولا تجهروا بمناداته كما يجهر بعضكم لبعض، وميزوه في خطابه كما تميز عن غيره في اصطفائه لحمل رسالة ربه ووجوب الإيمان به ومحبته وطاعته والاقتداء به خشية (أن تبطل اعمالكم وانتم لا تشعرون) أي لا تحسون بذلك[7] أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعاً

له في جميع الأمور، وعن ابن عباس رضي الله عنه ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ هذا أدبٌ ثاني أدب الله تعالى به المؤمنين ألّا يرفعوا أصواتهم بين يدى النبي ﷺ فوق صوته[8]، قال السعدي وهذا ادب مع رسول الله ﷺ في خطابه، أي لا يرفع المخاطب له صوته معه، فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يغض الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال وإعظام، ولا يكون رسول الله ﷺ كأحدهم، بل يميزوه في خطابهم كما تميز عن غيره، في وجوب حقه على الامة ووجوب الإيمان، والحب الذي لا يتم الإيمان إلا به، فإن عدم القيام بذلك محذور وخشية أن يحبط عمل[9] العبد وهو لا يشعر، كما انَّ الأدب معه، من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال، ثم مدح من غض صوته عند رسول الله صلى عليه وسلم، بأن الله تعالى امتحن قلوبهم للتقوى، أي ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى[10].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره، ولو أن هؤلاء الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادونك حتى تخرج إليهم إذا خرجت لكان خيراً لهم عند الله تعالى لأن الله تعالى قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله تعالى عنه (وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ويقول تعالى ذكره، الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجرات إن هو تاب من معصية الله تعالى، وراجع أمر الله تعالى في ذلك، وفي غيره، رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه[11] وغفور لما صدر عن عباده من الذنوب والإخلال بالآداب، رحيم بهم حيث لم يعاجلهم[12].

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

ورد في سبب نزولها أربعة أقوال :-

1 - إنها نزلت في أبى بكر وعمر رضى الله عنهما عند قدوم وفد بني تميم[13]وهذا القول فيه نظر، لأن الذي نزل في أبى بكر وعمر رضى الله عنهما الآية التي بعدها، ولكن يمكن حمل هذا القول على أن هذه الآيات نزلت جميعاً، فكان من أسباب نزولها جملة قصة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، وهو ما يفهم من حديث

البخاري في الصحيح .

2 – إن اقواماً ذبحوا قبل أن يصلي الرسول ﷺ يوم النحر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا الذبح، فنزلت الآية[14] قاله الحسن[15].

3 – إنها نزلت في قوم كانوا يقولون لو أنزل الله في كذا وكذا، فكره الله ذلك وقدم فيه[16]، قاله قتادة[17].

4 – إنها نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسول الله ﷺ قاله بن السائب[18].

ويصعب الجزم بأحد الأقوال، إلا أن قول قتادة قوي، وكذلك القول الأول مع أنني ألمس ضعفا في القولين الثاني والرابع، وعندما أرجح أن هذا سبب النزول فإني أعني به السبب المباشر لنزولها لا ما تشمله الآية، وكذلك عندما أضعف بعض الأقوال فإني أقصد أنه هو ليس السبب المباشر لأن الآية تشمله فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾

ورد في سبب النزول قولان :-

1 – إنها نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما – في قصة بني تميم[19].

2 – إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان جهوري الصوت، فخشي أن الرسول ﷺ كان يتأذى بصوته فأنزل الله الآية، قاله مقاتل[20] وغيره، والقول الثاني ضعيف لأن ثابت بن قيس ظن أن الآية فيه، فاستدعاه رسول الله عليه وسلم وأزال عنه هذا الظن، بل بشره بالجنة، وفي بعض الروايات بشره بالشهادة، ولذا فإن ثابتاً رضي الله عنه، وإن خاف أن الآية نزلت فيه فإنه أيقن أنه ليس هو المراد وأيضاً جهورية صوته خلقة لا تعمداً، والقول الصحيح إنها نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للآثار الصحيحة الواردة في ذلك[21].

قال البخاري، عن أبي مليكة[22] قال : كاد الخيران أن يهلكا ابو بكر وعمر – رضي الله عنهما – رفعا أصواتهما عند رسول الله ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر، رضي الله عنهما : ما أردت إلا خلافي : قال عمر رضي الله عنه ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، قال ابن

الزبير[23] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فما كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبابكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن كثير: انفرد به البخاري[24].

وفي رواية أخرى للبخاري قال : حدثنا ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، أخبره أنه قدم ركب من بني تميم علي النبي ﷺ فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أردت إلاخلافي، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتها، فنزلت في ذلك﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ، قال ابن كثير وهكذا رواه منفرداً به أيضا[25]، وبهذين الحدثين يتضح أن سبب النزول قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ) قال ابن عباس[26] رضي الله عنهما : لما نزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ ﴾ تالى[27] أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ ﴾ قال تعالى : ﴿ (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ) ﴾ ، ورد في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

الأول: إن بني تميم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فنادوا على الباب يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين، فخرج وهو يقول إنما ذلكم الله فقالوا، نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك : فقال : ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت، لكن هاتوا، فقال الزبرقان بن بدر لشاب منهم، قم فاذكر فضلك وفضل قومك فقام فذكر ذلك، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس فأجابه، وقام شاعرهم فأجابه حسان[28].فقال الأقرع بن حابس، والله ما أدري ما هذا الأمر، تكلم خطيبنا فكان خطبيهم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا، فكان شاعرهم أشعر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط عند رسول الله عليه وسلم فنزلت الآية، هذا قول جابر بن عبد الله وآخرين[29].

وقال ابن إسحاق، نزلت في بغاة بني تميم وكان فيهم الأقرع بن حابس وعيينه بن حصين والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم المنقري وغيرهم[30]، وقال ابن كثير ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما أورده غير واحد، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن الاقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا

محمد يا محمد، وفي رواية أخرى يا رسول الله، فلم يجبه فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال ذاك الله[31].

الثاني: إن رسول الله ﷺ بعث بسرية إلي بني العنبرة، وأمر عليهم عيينة بن حصين الفزاري، فلما علموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ورسول الله ﷺ قائل، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس رضي الله عنهما[32].

الثالث: إن ناساً من العرب قال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى هذا الرجل إن يكن نبياً نكن أسعد الناس به، وإن يكن ملكا نعش في جناحه، فجاءوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فنزلت هذه الآية[33].

والذي يترجح لدي أن السبب الأول هو الصحيح، لأنه السبب المباشر لنزول الآية الكريمة، أي نزلت في وفد بني تميم، ومناداتهم لرسول ﷺ من وراء الحجرات، أما القول الثاني فهو ضعيف، لأنه هو ليس السبب المباشر لأن الآية تشمله، أما القول الثالث، فلعله يمكن حمله على بني تميم، فتتحد القصة مع تعدد الروايات.

المبحث الثالث : التثبت من الأخبار :-

قال تعالي ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ سورالحجرات، الآية 6، ففي هذه الآية من الآداب المشروعة بين الناس بعضهم مع بعض في نقل الأخبار وأن التثبت أمر ضروري، يقول الحافظ بن كثير يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً، أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله تعالى عن اتباع سبيل المفسدين، ومن ها هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لأنه إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسوق لأنه مجهول الحال[34].

قال السعدي : وهو أيضا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا اخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن في ذلك خطأً كبيراً ووقوعاً في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب

ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الفاسق متوقف فيه[35] قال تعالى ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ سورة الحجرات، الآيتين (7 - 8)

واعملوا أن بين أظهركم، رسول الله ﷺ فتأدبوا معه، فإنه أعلم منكم بما يصلح لكم، ويريد بكم الخير، وقد تريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول ﷺ لو يطيعكم في كثير من الأمر مما تختارون لأدى ذلك إلى مشقتكم، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وحسنه في قلوبكم فآمنتم، وكره إليكم الكفر بالله والخروج عن طاعته ومعصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الراشدون السالكون طريق الحق[36]، قال تعالى ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾، وهذا الخير الذي حصل لهم فضل من الله عليهم ونعمة، والله عليم بمن يشكر نعمه حكيم في تدبير أمور خلقه[37].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ ، هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط كما قال جمهور المفسرين، قال الإمام أحمد حدثنا عيسي بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي دفع الزكاة، وترسل لي يا رسول الله إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ احتبس عليه الرسول، ولم يأته، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخط من الله تعالى ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ وقت لي وقتاً يرسل إلى رسوله يقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده، مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطرق فرق – أي خاف – فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إن الحارث قد منعني الزكاة،

وأراد قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وبعث. إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه، حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم، قال إلى من بعثتم ؟ قالوا إليك، قال: ولم ؟ قالوا إن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال رضي الله عنه لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ قال: فنزلت[38]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ ، قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث، وذكر بعدة روايات، وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم مقاتل بن حيان وغيره في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة[39].

المبحث الرابع:- الإصلاح بين المؤمنين:-

ومن الآداب التي ذكرها تبارك وتعالى في هذه السورة الإصلاح بين المسلمين، كما في ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾ سورة الحجرات، الآتيين،(9-10)، وقال ابن الكثير يقول الله تعالى أمراً بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾ فسماهم المؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وقوله تعالى:﴿ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، أي حتى ترجع إلى امر الله وتسمع للحق وتطيعه[40]، كما ثبت في الصحيح عن أنس أن الرسول ﷺ قال: (أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوما)، قلت يا رسول الله، هذا نصرته مظلوماً فكيف انصره ظالماً ؟ قال تمنعه من الظلم فذاك نصرك أخاك)[41].

قال السعدي، وفي هاتين الآيتين من الفوائد : إن الاقتتال بين المؤمنين مناف للإخوة الإيمانية، ولهذا كان من أكبر الكبائر، وأن الإيمان والإخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، والتي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل وعلى وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله تعالى، ولو أنهم رجعوا لغير أمر الله، بأن رجعوا على وجه لا يجوز

الإقرار عليه، والتزامه، أنه لا يجوز ذلك وأن أموالهم معصومة، لأن الله تعالى أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم[42]، قال تعالى :﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾ وقد ورد في سبب نزول هذه الآية قولان :-

الأول: في قصة ذهاب رسول الله ﷺ لعبد الله بن أُبي، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ لو أتيت عبدالله بن أُبي، فركب حماراً وانطلق معه المسلمون يمشون فلما أتاه النبي ﷺ قال إليك عني، فوالله لقد آذني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت فيهم[43]، (وإن طائفتان...).

القول الثاني: إنها نزلت في رجلين من الأنصار كان بينهما مماراة في حق بينهما : فقال احدهما، لأخذن حقي عنوة، وذلك لكثرة عشيرته، ودعاه الآخر ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ فلم يزل الأمر بينهما حتى تناول بعضهما بالأيدي والنعال[44]، وهذا القول لقتادة، والقول الأول هو الاظهر والأرجح لثبوته في الصحيحين وغيرهما .

أما الثاني فقد قال قتادة، ذكر لنا ثم ساقه كما هو في الدُر المنثور[45].

ومن الآدب التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة السخرية والاستهزاء وكذلك الهمز والتنابز بالألقاب، والظن السيء بالمسلمين والنهي عن التجسس والغيبة كما في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ **سورة الحجرات، الآيتين** (11 – 12)، يقول ابن كثير، يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، ولأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً فليجتنب كثير منه احتياطاً[46]، وقال السعدي: من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض أن (لا يسخر قوم) بكل كلام، وقول وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام لا يجوز، وهو دال على إعجاب

الساخر بنفسه، وعسي أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، ومتحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي ﷺ (بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم)[47]. ثم قال: (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا يعب بعضكم علي بعض، واللمز بالقول، والهمز بالفعل، وكلاهما منهي عنه، حرام متوعد عليه بالنار، كما قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ سورة الهمزة، الآية (1).

وسمى الأخ المسلم نفساً لأخيه لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره أوجب للغير أن يهمزه فيكون هو المتسبب لذلك، (ولا تنابزوا بالألقاب) أي يعير أحدكم[48]، أخاه وبلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي بئس ما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، وبالذي هو التنابز، بالألقاب﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار، والمدح له مقابل ذمه[49]، وقال ابن كثير وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ أي على بعضكم بعضاً، والتجسس غالباً يطلق في الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير، كما قال تعالى: إخباراً عن يعقوب عليه السلام: إنه قال:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۝٨٧ ﴾ سورة يوسف، الآية (87)، وقد يستعمل كل منها في الشر، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ، قال : (لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)[50].

وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ ﴾ فيه نهي عن الغيبة[51]. وقد فسرها الشارع لما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبى هريرة قال: قيل يا رسول الله، ما الغيبة؟، قال ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)[52]، قال العلامة الشنقيطي وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن السخرية جاء ذم فاعله وعقوبته عند الله في غير هذا الموضع، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ سورة التوبة، الآية (79).

وقد بين الله تعالى أن الكفار المترفين في الدنيا كانوا يسخرون من الكفار يوم القيامة،

كما قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ سورة البقرة، الآية (212)، وقال تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة المطففين، الآيات (28 – 36).

فلا ينبغي لأي مسلم في حالة رثة تظهر به عليها أثار الفقر والضعف أن يسخر منه لهذه الآيات التي ذكرنا، وقال بعض العلماء الهمز يكون بالفعل كالغمز بالعين احتقاراً وازدراءً، واللمز باللسان، وتدخل فيه الغيبة، وقد صرح الله تعالى بالنهي عن ذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ، ونفر عنه غاية التنفير في قوله تعالى: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ ، فيجب على المسلم ان يتباعد كل التباعد من الوقوع في عرض أخيه[53].

قال السعدي: في هذه الآية دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله تعالى شبهها بأكل لحم الميت وذلك من الكبائر[54]، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾، ذكر العلماء لنزولها سببين: الأول أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوماً يريد الدنو من رسول الله ﷺ وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه، افسح، فقال الرجل، قد أصبت مجلسنا، فجلس مغضباً، ثم قال للرجل: من انت، قال: أنا فلان، فقال ثابت، أنت ابن فلانة، فذكر أماً له كان يعير بها في الجاهلية، فأعضى الرجل ونكس رأسه، ونزل قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ .

والثاني أن وفد بني تميم استهزءوا بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا رثاثة حالهم، فنزلت هذه الآية.

المبحث الخامس: أدب الاجتماع والمعاشرة:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الحجرات الآية(13).

يخبر الله تعالى أنه خلق بني أدم من أصل واحد وجنس واحد فكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعاً إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وفرقهم

وجعلهم شعوباً وقبائل أي قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون والتوازن، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله تعالى جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله تعالى عليم خبير، ويعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهراً وباطناً، ممن يقوم بذلك، ظاهراً لا باطناً فيجازي كلاً بما يستحق، وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله تعالى جعلهم شعوباً وقبائل لأجل ذلك.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا ﴾ ، ورد في سبب نزول هذه الآية، أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا امرأة منهم لأبي هند – كان حجاماً للنبي ﷺ – فقالوا: يا رسول الله، نزوج بناتنا موالينا، أي عبيدنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المبحث السادس: حقيقة الإيمان بالله تعالى:

قال تعالى :﴿ ۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٤﴾ **سورة الحجرات، الآية** (14).

أي قالت الأعراب وهم البدو، آمنا بالله ورسوله إيماناً كاملاً قل لهم أيها النبي لا تّدعوا لأنفسكم الإيمان الكامل ولكن قولوا أسلمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، إن الله غفور لمن تاب من ذنوبه، رحيم بهم، وفي الآية زجر لمن يظهر الإيمان ومتابعة السنة وأعماله تشهد بخلاف ذلك.

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ ﴾، أنها نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة قدموا على الرسول ﷺ المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فاعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[59]. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الحجرات، الآية (15)، أي إنما المؤمنون الكُمّل﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ ، أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة، وهي التصديق المحض، ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي بذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾، أي في أقوالهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الإعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة[60].

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الحجرات، الآية (16)، ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين أمنا ولم يدخل الإيمان في قلوبكم:﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ﴾ أيها القوم بدينكم، يعني بطاعتكم ربكم ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ ، ويقول: والله الذي تعلمونه أنكم مؤمنون، علام جميع ما في السموات السبع والأراضين السبع، لا يخفى عليه منه شيء، فكيف تعلمونه بدينكم والذي أنتم عليه من الإيمان، وهو لا يخفي عليه خافية في سماء، ولا أرض، فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ ، يقول: والله بكل ما كان، وما هو كائن، وبما يكون ذو علم، وإنما هذا تقدم من الله تعالى إلي هؤلاء الإعراب بالنهي، عن أن يكذبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ عالم به فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائركم صدوركم فتنالكم عقوبته فإنه لا يخفى عليه شيء[61].

قال تعالي:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الحجرات، الآية (17)، قال السعدي: هذه حالة من أحوال من ادّعي لنفسه الإيمان، ليس به فإنه إما أن يكون ذلك تعليماً لله تعالى، وقد علم أنه عالم لكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام المنة على رسول الله ﷺ وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم، بل هو من حفظه الدنيوية، هذا تجمل بما لا يجمل وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسول اللهﷺ به، فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان أعظم من كل شيء[62]، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الحجرات، الآية (18)، أي أن الله تعالى يعلم ما غاب فيها وهو بصير بسركم وعلانيتكم لا يخفى عليه ما في ضمائركم، وفي ذلك رمز إلى أنهم كاذبون في

إيمانهم وإعلان للنبي ﷺ وأتباعه من المؤمنين بما في أنفسهم[63]، وقال ابن كثير، ثم كرر الأخبار يعلمه بجميع الكائنات، وبصره بأعمال المخلوقات[64] فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾

تاسعاً: الخاتمة: وهي في النتائج والتوصيات:

بعد هذا العرض لهذه السورة الكريمة توصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:-

أولاً: النتائج وتتلخص في الآتي:-

(1) ألا يقضي المؤمنون في أمر قبل أن يقضي الله ورسوله فيه.

(2) الهيبة والإجلال للرسول ﷺ وألا تتجاوز أصواتهم صوته.

(3) ألا يخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضهم بعضاً، بل يخاطبوه بالنبي والرسول ﷺ.

(4) إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ أولئك هم المتقون.

(5) إن من نادوه من وراء الحجرات كعيينة بن حصين ومن معه أكثرهم لا يعقلون.

(6) ذم المن على الله ورسوله ﷺ بالإيمان.

ثانياً: التوصيات: وهي كما يلي:-

(1) ألا نسمع كلام الفاسق حتى نتثبت منه وتظهر الحقيقة.

(2) إذا بغت إحدى الطائفتين على أخرى وجب قتال الباغية حتى تفيء إلى أمر الله تعالى.

(3) حبب الله الصلح بين المؤمنين.

(4) النهي عن السخرية واللمز والتنابز.

(5) النهي عن سوء الظن بالمسلم وعن تتبع العورات المستورة وعن الغيبة والنميمة.

(6) الناس سواسية مخلوقون من ذكر وأنثى، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

(1) صفوة التفاسير، تأليف محمد علي الصابوني، ط4، 1402ه، 1981م، دار القرآن الكريم، بيروت، ج3، ص231، وانظر تفسير القرآن العظيم، تأليف إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي،

ط2، 1420ه – 1999م، دار طيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ج4، ص 206.

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق محمد علي النجار، ط3، 1416ه – 1996م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، القاهرة، ج1، ص 436.

(3) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط2، 1373ه – 1953م، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج26، ص119.

(4) النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، ط، مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، ص290.

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق عبد الرازق غالب المهدي، ط1، 1415ه – 1995م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص244 .

(6) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، ص436، مصدر سابق، وانظر البرهان في علوم القرآن، للإمام محمد بن عبد الله الزركشي، ط1، 1410ه – 1990م، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلى وأخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج1، ص195 .

(7) التفسير الميسر، تأليف عدد من أساتذة التفسير، تحت إشراف الدكتور عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط1، 1420ه – 2000م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ص15 .

(8) تفسير القرآن العظيم، تأليف إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مصدر سابق، ج7، ص364 – 365.

(9) تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط1، 1420ه – 2000م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ج7، ص127 .

(10) المصدر نفسه ج7 ص28.

(11) جامع البيان عن تأويل آي القرآن بالقرآن، تأليف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط1، 1420- 2000م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ج26، ص117.

(12) تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص128.

(13) زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط1، 1407ه – 1987م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج7، ص454، وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن بالقرآن، تأليف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط1، 1420ه2000-م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ج26، ص74.

(14) جامع البيان عن تأويل آي القرآن بالقرآن، تأليف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المصدر نفسه، ج26، ص117.

(15) الحسن بن يسار البصري، إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة كان غاية في الفصاحة،

له كتاب في فضائل مكة ولد في المدينة المنورة سنة 21ه – 642م، وتوفي بالبصرة سنة 110ه – 628م، انظر سير أعلام النبلاء، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1420ه 2000-م، ج4، ص564.

(16) زاد المسير في علم التفسير، لأبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، ج7، ص455، مصدر سابق، وأنظر سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، إعداد الأستاذ الشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1413ه7-/29م، ص9.

(17) قتادة بن دعامة بن عزيز، حافظ عصره وقدوة المفسرين والمحدثين كنيته أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمة، روى أحاديث عن أنس بن وغيره، ولد سنة (61ه) وتوفي سنة (118ه)، وانظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي تحقيق بشار عواد معروف، ط1، 1400ه – 1980م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج23، ص468 – 504.

(18) عبد الله بن السائب، اسمه صيفي بن عبد الله القرشي المخزومي، من صغار الصحابة، كان قارئ اهل مكة، توفي بمكة، ووقف عبد الله بن عباس رضى الله عنهما على قبره ودعا له، انظر تهذيب التهذيب، تصنيف الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1996م، ج5، ص229.

(19) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، مصدر سابق، ج4، ص206 .

(20) مقاتل بن حيان بن دوال دور، الإمام العالم المحدث الثقة، كان من العلماء العاملين، هرب من خرسان أيام أبي مسلم صاحب الدولة إلى بلاد كابل فدعاهم إلى الله فأسلم على يده خلق، انظر سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج6، ص34.

(21) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب التفسير، ط1، دار بن كثير، بيروت، 1423ه – 2002م، ج6، ص46.

(22) - أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي، المتوفي سنة 117ه، تابعي وأحد رواة الحديث النبوي، وقاضي الطائف في خلافة عبد الله بن الزبير، انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط2، مرجع سابق، ج5، ص89.

(23) عبد الله بن الزبير بن العوام، (1هـ 37هـ)، أول مولود للمهاجرين بالمدينة المنورة بعد هجرة النبي صلى الله وسلم إليها، هو من صغار الصحابة رضي الله عنهم، وفارس قريش في زمانه، انظر المصدر نفسه، ج3، ص365 .

(24) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب التفسير، ط1، دار بن كثير، دمشق، بيروت، مصدر سابق، ج6، ص46.

(25) المصدر نفسه ج6، ص46 .

(26) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير، وهو من صغار

الصحابة، دعا له رسول الله ﷺ بأن يعلمه التأويل ويفقهه في الدين، انظر سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج3، ص332 .

(27) آلى على نفسه: أي حلف عليها، انظر لسان العرب تأليف جمال الدين بن مكرم بن منظور، ط3، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، ج13، ص462.

(28) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ط1، 1411هـ 1991م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص219، وانظر المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم، الطبعة الأولى، 1411هـ 1990، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(29) أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي، مرجع سابق، ص220 .

(30) زاد المسير، لابن الجوزي، مصدر سابق،، ج7 ص458 .

(31) تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص207.

(32) زاد المسير لابن الجوزي، مصدر سابق، ج 7، ص459 .

(33) جامع البيان للطبري، مصدر سابق، ج26، ص121.

(34) تفسير ابن الكثير، ، مصدر سابق ج7، ص370 .

(35) تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص 130 .

(36) التفسير الميسر، تأليف عدد من أساتذة التفسير، مصدر سابق، ص516.

(37) المصدر نفسه، ص 516 .

(38) مسند الإمام احمد بن حنبل، ط1، دار الحديث، القاهرة، ج 4، ص299، وانظر تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص208، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي، ط1، مكتبة القدس، 1353ه، ج7، ص112، وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي، ط2، 2004م – 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، ص91، وانظر المستدرك على الصحيحين، للحاكم، مصدر سابق، ج4، ص279.

(39) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مصدر سابق، ج 4، ص210، وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، مصدر سابق، ج26، ص123، وانظر أسباب النزول للواحدي، مرجع سابق، ص222، وانظر زاد المسير لابن الجوزي، مصدر سابق، ج7، ص460.

(40) تفسير ابن كثير مصدر سابق، ج7، ص374.

(41) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث رق، 2312، مصدر سابق،ج2، ص118.

(42) انظر تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص130 .

(43) انظر صحيح البخاري، لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري، كتاب الصلح، مصدر سابق، ج3،

ص 166، وانظر صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم الحجاج، كتاب الجهاد، حديث رقم 1799، ط2 تونس، دار سحنون 1413هـ 1992-م، ج 3، ص1424، وانظر المسند للإمام احمد، مصدر سابق، ج3، ص 219، 157، وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن بالقرآن، للطبري، مصدر سابق، ج26، ص128، وانظر زاد المسير لابن الجوزي، مصدر سابق، ج7، ص462 .

(44) زاد المسير لابن الجوزي، ج7، ص463، مصدر سابق .

(45) الدر المنثور، للسيوطي، مصدر سابق، ج 6، ص95 .

(46) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص374 .

(47) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، حديث رقم 2564، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم، مصدر سابق، ج13، ص1986 .

(48) تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص135.

(49) تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص 136.

(50) صحيح مسلم، للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج، حديث رقم 2564، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، مصدر سابق، ج13، ص1986.

(51) تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص379.

(52) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، كتاب الأدب، باب الغيبة، حديث رقم 5705، ط1، دار الريان للتراث، 1407ه – 1986م، ج47، ص485، وانظر صحيح مسلم للإمام أبي الحسين بن الحجاج كتاب الصلة والأدب، باب تحريم الغيبة، حديث رقم 2589، مصدر سابق، ج16، ص70،، وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، لابي الطيب محمد شمس الحق العظيم، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1401ه، ج10، ص398 .

(53) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين محمد مختار الجكني الشنقيطي، 1421ه – 2000م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج7، ص418.

(54) تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص136 .

(55) تفسير السعدي، المصدر السابق، ج7، ص138 – 139 .

(56) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، شرحه يوسف الحمادي، نشر مكتبة مصر، الفجالة، ج4، ص 261.

(57) تفسير المراغي، احمد مصطفى المراغي، ط2، مصدر سابق، ج26، ص 142 .

(58) التفسير المسير، تأليف عدد من أساتذة التفسير، مصدر سابق، ص517 .

(59) أسباب النزول للواحدي، مرجع سابق، ج1، ص 767 .

(60) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 515 .

(61) جامع البيان عن تأويل آى القرآن، للطبري، مصدر سابق، ج 21، ص 396 .

(62) تفسير السعدي، مصدر سابق، ج7، ص142.

(63) تفسير المراغي، الأستاذ احمد مصطفى المراغي، ط3، مصدر سابق، ج25، ص 145.

(64) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص515.